



# العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011  
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروننترم، كيرلا، الهند، 695034

## يوسف إدريس : أديب عالج الأمراض الجسمانية والعاطفية

د/ بشير بولاكال

أستاذ مساعد، قسم العربية، الكلية الحكومية، كاسركود، كيرالا، الهند

الأدباء هم الذين يبدعون ويتذكرون ويخلقون ما لا يستطيع به أحد لم تجد فيه الموهبة الإلهية، هم الذين ينقدون الحياة والمجتمع بتجاربهم من الحياة الاجتماعية وبمهاراتهم في تصريح الأمور، وهم الذين يثرون العواطف والمشاعر في القراء والسامعين بمقدرتهم المعنوية والبنائية الأسلوبية. وهم الذين يمتلون ويفسرون ومعانى الحياة المتنوعة بعقربيتهم، ويطّلعون إلى ما خفي وجف من ميادين العواطف، وإلى كل شيء يتعلق بالحياة. فنعم تعريف الأدب بأنه "تعبير عن الحياة أو بعضها بعبارة جميلة". قد يكون هذا التعبير إما نثراً أو شعراً، فالشعر يكون في أنواع، من شعر غنائي أو قصصي أو تمثيلي أو طبيعي أو غير ذلك من أنواع الشعر. وفي النثر يكون هذا التعبير كصورة رواية أو قصة أو غير ذلك من الأنواع المتنوعة للنثر. والقصة هي أهم شيء وأقدر لإثارة العواطف والمشاعر في القراء.



أما الدكتور يوسف إدريس يعتبر الممثل الرائد لنوع القصصي القصيرة بين المبدعين الذين وصلوا إلى دائرة الشهرة مع ثورة ١٩٥٢ منذ صدور مجموعته القصصية الأولى عام ١٩٥٤. وأن إنتاجه في هذا المجال لم يستمر على الإطلاق ما يستحقه من انتباه النقاد في أول الأمر. ولكن النقاد الجدد قد التقىوا إليه بمعالجته على العموم. وهذه المحاولة بحث بسيط بایجابياتها للفن القصصي عند يوسف إدريس، كاتبنا الكبير الذي نعتز به ونحبه كثيراً، وهذه ليست تعليقاً عابراً أو مراجعة صحافية لأحدى مجموعاته القصصية بل أنا أعتقد هذه رؤية عامة لعالمه القصصي. فهذا البحث لا يقتصر على النظرة إلى مجلل الأعمال القصصية كوحدة واحدة فحسب، بل يمتد إلى محاولة فهم ما وراء الأعمال الإبداعية. فحينما نتجه إلى بحث أعمال يوسف إدريس القصصية نرى أن الدكتور يوسف إدريس مثل أعضاء "المدرسة الحديثة". قاوم المعالجة الرومانسية أو العاطفية للقصة القصيرة عند بعض معاصريه، والعناصر غير المصرية في أعماله. تكشف يوسف إدريس عن متذوق رفيع لكتاب الروسي، وخاصة تشيكوف وجوركي وستويفسكي. وقد أكدت قراءاته لأعمال تشيكوف لديه الاعتقاد الذي كان سائداً لدى هواة "المدرسة الحديثة"، بأنه بتقديم صورة أمينة مرضية فنياً للواقع المحلي يمكن للقصة القصيرة المصرية أن تكتسب اعترافاً عالمياً. قد ركزت العديد من قصصه على أكثر المظاهر استحقاقاً للتعریض في الوضع الاجتماعي لمصر، مثل علاقات الزواج غير المرضية، والسلوك الآتاني المتغير الذي كثيراً ما تتم مقابلته لدى الطبقات العليا. على كل حال أن الدكتور يوسف إدريس كان ممثلاً ورانياً لنوع القصصي القصيرة في مصر، ولا يزال أعماله القصصية متناولة ومحبوبة في مراحل مختلفة أكاديمية كانت وغيرها.

### حياته العملية والإبداعية

أما حياة يوسف إدريس كان مضطرباً فلقا بالحوادث الاجتماعية والسياسية وغيرها التي لها دور بارز في تكوين شخصيته هذه، التي لها تجربة حيوية فذة لا تتأتى لها أديب مثله. ولكن انطلاقته الأدبية جاءت مع عام ١٩٥٢، عندما عينه أحمد أبو الفتح - رئيس تحرير "جريدة المصري" الواسعة الانتشار والتأثير - محرراً بها. واعتبرت قصته الأولى التي نشرت بها "النظرة" إنجازاً لكاتب واعد، وتالت قصصه الأخرى. وبعد ذلك في نفس العام أصبح مسؤولاً عن القسم

الأدبي بمجلة "روز اليوسف"، ذلك المنصب الذي مكنه من نشر القصص القصيرة للعديد من الشبان غير المعروفين – بعد كتاب، مثل عبد الله الطوخى وصالح مرسي وفاروق منيب وعبد الفتاح رزق وشوقى عبد الحكيم وفهمى حسين. وإلى جانب أنشطته الأبية واصل يوسف إدريس ممارسة الطب. ففتح عيادة في بولاق، ذلك الحي الفقير المفعم بالحيوية من أحياه القاهرة. وبمرور السنوات تم تعينه في وظائف حكومية مختلفة. ففي البداية، عمل كمستشار طبى للإدارة المحلية المسئولة عن إصدار شهادات لمن يريدون فتح مجلات جديدة، وبعد ذلك كمسئول طبى في محافظة القاهرة، حيث كان يحتال لمساعدة المعتقلين السياسيين على الهرب من سجن روض الفرج.<sup>١</sup> وفي وزارة الأشغال العامة، كان مسئولاً عن الخدمات الطبية في ورش الوزارة وقسم الكناسين في بولاق. وفيما بعد، عين مفتشاً صحياً في مناطق مختلفة من القاهرة الكبرى: في السيدة زينب والدرن الأحمر – في الجزء الإسلامي القديم من القاهرة – وهليو بوليس – الضاحية الشمالية، وفي حلوان – المنطقة الصناعية الجنوبية من المدينة.

وفي نفس الوقت، ظل يوسف إدريس مهتماً بالسياسة، ويرغم أنه لم ينتد للدائرة الداخلية من حدتو، فإنه كان عضواً بمكتب الكتاب بها، والذي كان مرتبطاً بالقسم السياسي للمنظمة بصورة فضفاضة. وفي عام ١٩٥٢، حاولت "حدتو" أن تقاس من خلافاتها مع مجلس قيادة الثورة، ولكن في ١٩٥٣ و١٩٥٤ أثبتت هذا الموقف أن الدفاع عنه بات متعرضاً، عندما اتخذ المجلس إجراءات صاربة ضد خصومه الحقيقيين أو المفترضين، وتم القبض على مئات الأشخاص، ومن بينهم العديد من الشيوعيين. حتى قد منعه قلق مشابه على مستقبله ككاتب من الزواج لفترة طويلة نسبياً. فبرغم أن يوسف إدريس مغرم جداً بالوسط النسائي، إلا أنه كان يخشى أن يتعرض دور الزوج مع شخصيته الفلقة وربما انتهى بعرقلة عمله الإبداعي. ولهذا فقد حذر خطيبته عام ١٩٥٧ من أنه لن يتزوج في أن يطلقها فيما لو أصبحت الحياة الزوجية عقبة أمام نشاطه الأدبي. ووافقت، واجتازت علاقتها المترفة احتبار السنين على ما يرام. وقد أنجبوا ثلاثة أبناء، ولدين وبنتاً واحدة.

#### عقبية الأديب

ونشرت المجموعة القصصية الأولى ليوسف إدريس – أرخص ليالي – عام ١٩٥٤ فسجلت اسمه كأحد كتاب القصة الرئيسيين في مصر. ولكنه لم يقصر نفسه على القصة القصيرة وحدها. في عام ١٩٥٦، نشر رواية قصيرة: قصة حب، وفي مايو ١٩٥٧، قدم نفسه للمرة الأولى كمسرحي بمسرحيتين من فصل واحد: "ملك القطن"، و"جمهورية فرات"، والأخيرة معالجة مسرحية لقصة قصيرة بنفس الاسم. كانت التجربة مشجعة، فتلتها مسرحية "اللحظة الحرجة"، وهي مسرحية مستوحاة من أزمة السويس. وقد فشلت هذه المسرحية. يوسف إدريس مدين بالكثير كإنسان وكاتب للطب<sup>٢</sup> وأية نظرة عابرة إلى الكثير من أعماله الأدبية تكشف إلى أي مدى هو مدين لمهنته فيما يتعلق بموضوع البحث. فعالم الأطباء والمرضى والمستشفى والأمراض يبرز بشكل واضح في العديد من قصصه. وبمرور الأعوام، أصبح عمله الطبي هاماً شيئاً – بصورة متزايدة – بالقياس إلى الكتابة. وواصل يوسف إدريس – في الستينيات – نشر مجموعاته القصصية. وشارك أيضاً في النهضة المسرحية المصرية في تلك السنوات بثلاث مسرحيات. وتتمثل مسرحيته الأولى: "الفرافير"، أما مسرحيته الثانية "المهزلة الأرضية" التي نشرت عام ١٩٦٦ ففشل في أن تجذب انتباه المشاهدين. وأخيراً في عام ١٩٦٩، لم يتم إخراج "المخططين" بسبب مضمونها السياسي.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> يذكر أحمد حمروش في قصة "ثورة ٢٣ يوليو" الجزء السابع، ص ٢٩٥، الهرب دون ذكر أسماء من ساعدوه عليه.

<sup>٢</sup> هي حقيقة اعترف بها يوسف إدريس في "يوسف إدريس بلا رتوش" الإثنين (٢٨ فبراير ١٩٦٠)

<sup>٣</sup> يوسف تريفور لو جاسيك (Trevor Legassick) الفرافير باعتبارها "البهلوان وسيده"， Mahmoud Mazala owi, Cairo 1977, 335-36)

وفي السنوات الأخيرة، سافر يوسف إدريس إلى الخارج كثيراً، ولم تفشل مقالاته في الأهرام – أبداً – في أن تثير اهتماماً عاماً. ومن ناحية أخرى، فقد أصاب الركود إنتاجه الأدبي: فمنذ ١٩٧٠، نشر مجموعة قصصية واحدة "بيت من لحم" وكتب مسرحية واحدة "الجنس الثالث" ويعرف بأنه عاجز عن الكتابة الأدبية طالما أن المرافق العامة في القاهرة تنهار تحت ضغط الانفجار السكاني، والفووضي متفشية. وطالما أن الأمور كذلك، فإنه يعتقد أن المقال الصحفي هو الاستجابة الملائمة.<sup>١</sup> في ospf إدريس ليس دكتوراً في مجال الطب فحسب، الذي يعالج الأمراض الجسمية الجسدية المادية، بل إنه كان دكتوراً يعالج جميع ما للإنسان في حياته من العواطف والمشاعر المختلفة والأزمات التي يعاني منها الإنسان في حياته والقضايا المختلفة التي تتعلق بحياته اليومية. وأعانه على ذلك عوامل عديدة من التجارب العلمية والعملية والإبداعية وغيرها.

#### المؤثرات الإبداعية لدى الكاتب

إن الآثار الأدبية كثرت عددها وأنواعها عند الدكتور يوسف إدريس حتى إنه يعد رائداً للقصة القصيرة. لا تنحصر محاولاته الإبداعية في الأقصليس فقط، بل تجاوزت إلى أنواع أخرى من أنواع الأدب، مسرحية ورواية وأقصوصة وغيرها، وإلى موضوعات شتى من السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية والجنسية وغيرها. بهذه نظرة إلى آثاره الأدبية. عادة ما تواجهه محاولات تحديد النسب الأدبي ليوسف إدريس بالمعارضة الصميمية من جانب الكاتب نفسه، الذي يصر على أن قصصه الأولى قد جاءت كابداع من لا شيء. ويؤكد يوسف إدريس على أنه كان الكاتب الأول الذي كتب قصصاً مصرية بصورة خالصة، بسبب أن مدخله الشخصي إلى الأدب القصصي كان يتشكل قبل أن يتلقى أيه مؤثرات أدبية.

ويجد يوسف إدريس صعوبة في تحديد قيمة أعماله. فتقديره لإنجازه ككاتب غالباً ما يتراوح بين نقريضين. فقد احتفظ منذ أعوام دراسته الجامعية بميله إلى عدم الثقة في الأدب في حد ذاته. وحتى عام ١٩٦٠ على الأقل، كان يوسف إدريس يلازم الفراش في اليوم الذي تنشر فيه قصصه، مخافة أن يقابل أحد معارفه عن قرأوا قصته<sup>٢</sup> وفضلاً عن ذلك فالشكوك المتعلقة بقدراته الفنية كانت تورقه إلى حد أنه فكر أكثر من مرة في الانتحار. ومن ناحية أخرى فإنه يبدو أحياناً مفرط الثقة في تقييم أهميته الأدبية. ويمكن أن يكشف مسح سريع لأفكار يوسف إدريس المتعلقة بدور الكاتب في المجتمع بعض المزاعم التي تؤكد هذا الافتقار إلى التقييم المتوازن.

#### المصادر والمراجع:

- (١) د: الطاهر أحمد المكي "القصة القصيرة دراسة ومحارات" – الطبعة الرابعة، دار المعارف.
- (٢) د: حمزة محمد البوقرى "القصة القصيرة في مصر ومحمد تيمور"، ط١، مكتبة الدراسات.
- (٣) د/ أحمد هيكل "الأدب القصصي والمسرحى في مصر".
- (٤) د/ سيد حامد النساج، "اتجاهات القصة المصرية القصيرة" مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف.
- (٥) ب.م. كربل شويفك "الإبداع القصصي عند يوسف إدريس"، ت. رفعت سلام، دار سعاد الصباح.
- (٦) د/ سيد النساج "الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة" دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤

<sup>١</sup> "أنصار رجال" القبس (١٩ مايو ١٩٧٦)، وسعید فرحت، التراث العربي محسو بالسخافات.

<sup>٢</sup> "المرأة مرآة تعكس" حواء (٢٧ فبراير ١٩٦٠)